**الجامعة المستنصرية**

**كلية الآداب / قسم اللغة العربية**

**استاذ المادة : أ.د. افتخار عناد الكبيسي**

**اسم المادة: أدب عباسي**

**اسم المحاضرة : موضوعات جديدة في شعرالعصر العباسي**

**تسلسل المحاضرة:الثانية عشر**

**المرحلة : الثالثة**

**عاشرا / التصوف :**

وهو من الموضوعات الجديدة التي ظهرت في أواخر القرن الثاني الهجري ، وقد استقلت به القصيدة عن الزهد وأول من اشاعة ابراهيم بن أدهم البلخي ( ت 160ھ) ، ورابعة العدوية (ت180ھ) وشقيق البلخي تلميذ ابن أدهم (ت194ھ) ويقال إنه أول من تكلم في التصوف وعلوم الأحوال وأن له يد طولى في اشاعة مبدأ التوكل على الله .

وهناك آراء مختلفة حول اشتقاق كلمة ( التصوف ) هل هي من الصوف لأنهم كانوا يلبسونه تمييزا لهم من أهل الرفة والتنعم ، أو هي من الصفاء أو هي من الصفة نسبة الى أهل الصفة الذين كانوا ينقطعون للعبادة في المسجد لعهد الرسول الكريم ( صلى الله عليه وآله وسلم ) .

وذهب البيروني الى انها مشتقة من كلمة ( صوفيا ) بمعنى الحكمة ، ويبدو أن أوجه الآراء الرأي القائل بأن الكلمة مشتقة من الصوف ، لأن كثير من الزهاد في القرن الثاني الهجري كانوا يلبسونه وشاع لبسه بين المتصوفة بعد ذلك .

ومنذ أواسط القرن الثاني الهجري عني المستشرقون بدراسة التصوف وبيان التأثيرات الأجنبية التي أثرت في نشأته وتطوره وكان من أسبقهم ( فون كريمر ) وكان يذهب الى ان التصوف يشتمل على عنصرين أساسيين : عنصر مسيحي وعنصر بوذي ، ويتضح العنصر الثاني في فكرة وحدة الوجود كما يقول كريمرعند الحلاج في القرن الثاني الهجري . وذهب المستشرق ( نيكليسون ) فيما بعد الذي لم يتمثل هذه الفكرة لا هو ولا غيره من متصوفة القرن الثالث الهجري .

وممن شدد على التأثير الأجنبي ( جولد تسيهر ) إذ ربط بين التصوف وتعاليمه الأفلاطونية الحديثة ، كما ربط بينه وبين البوذية الهندية ، وخفف من حدة القول بهذا التأثير الأجنبي ( ما سينيون ) في بحوثه عن الحلاج ، إذ ذهب الى ان التصوف نشأ من صميم الإسلام .

وبذلك انتهى الى القول بأن جميع الأفكار التي وصفت بأنها دخيلة على المسلمين وليدة ثقافة أجنبية غير إسلامية إنما هي وليدة الزهد والتصوف اللذين نشآ في الإسلام وكانا إسلاميين في الصميم إذ أخذ التصوف ينمو سريعا منذ فاتحة العصر العباسي الثاني ويستقل عن الزهد إستقلالا تاما إذ مضى أصحابه يتحدثون عن الحب الإلهي ومقاماته وأحواله وكانوا يأخذون أنفسهم بمجاهدات عنيفة من التقشف والنسك والإنقطاع عن الدنيا والخلوص التام للمحبة الإلهية والنشوة بها الى درجة الغناء في الذات العلية ولهم أشعار كثيرة يصورون به هذا العشق وما خلق في قلوبهم من لوعة لا يمكن إطفاؤها إستأثر بكل ما في قلوبهم من عواطف ومشاعر وشغلهم عن كل شيء إذ شغفوا بمحبوبهم شغفا عظيما بل وقد تحول هذا الشغف عقيدة جمعوا فيها بين محبة الله عز وجل وتقديسه وبين عبادته آملين منه الوصال وأن يرفع ما بينه وبينهم من حجب ، ولكن أنى يكون ذلك ؟ ان الدرب دائما يبدو طويلا ودونه أهوال لا حصر لها أهوال تملأ قلوبهم حسرات ويصور ذلك من بعض الوجوه أبي الحسن النوري إذ يقول :

**كم حسرة لي وقد غصت مرارتها جعلت قلبي لها وقفا لبلواك**

**وحق ما منك يبليني ويتلفـني لأبكيــنك أو أحظى بلقيــاك**

وقد ورد في شعرهم رموزا للذات الإلهية مثل رمز المرأة ورمز الديار الحجازية ومن ذلك قول إبن الفارض :

**أووميض برق في الأبيرق لاحا أم في ربى نجد أرى صباحا**

**أم تلك ليلى العامرية أسفرت ليلا فصيرت المساء صباحا**

**أحد عشر/ الشعر الفلسفي :**

هو الشعر الذي نشأ في بيئة المتكلمين والمناطقة ( أهل المنطق ) وأول من بدأه إبان بن عبد الحميد الذي تحدث عن مبدأ الخلق وضمنه شيئا منالمنطق **،** ثم أخذت تدخلفي المذاهب الدينية وعند فرق المعتزلة ، ولا سيما عند بشر بن المعتمر المعتزلي الذي رد على أصحاب ( الملل والنحل ) وساق له الجاحظ قصيدتين طويلتين في كتابه ( الحيوان ) يمكن أن تدخلا من بعض الوجوه في علم التأريخ الطبيعي إذ تحدث عن الحشرات والحيوانات التي تتجلى فيها حكمة الخالق البالغة في خلقه العجيب فضلا عن قصيدة ( الحكم بن عمرو البهراني ) في غرائب الخلق .

**إثنتا عشر / الشكوى من الزمن :**

أخذ هذا الموضوع يتسع في هذا العصر ويصبح أحد الموضوعات الأساسية في دواوين الشعراء ، ولكن هذه الشكوى تظل في العصر العباسي الأول ( فردية ) ، أما في العصر العباسي الثاني فإنها تصبح موجة عامة قل من لم تعمه ؛ لفساد الأحوال السياسية ، فإذا المناصب يتولاها غير أهلها ، والسعايات تفشو ويفشو معها إرتفاع الوضيع وتعظم المحنة ويستسلم الناس الى غير قليل من اليأس ، ويحسون كأن لا أمل في الإصلاح فقد عم الظلم واضطربت القيم وكأنما اصبحت الحياة يأسا متصلا ، لذلك كان طبيعيا أن نجد الشكوى على كل لسان ، شكوى مريرة من الزمن وأهله وانعكست أصداء ذلك على نفسيات الشعراء وبالتالي على أشعارهم إذ كانوا يضعون أحيانا هذه الشكوى في مقدمات قصائدهم على شاكلة قول الفيلسوف الكندي :

**وضائل سوادك واقبض يديك وفـي قعـر بيـتك فاستجلـس**

**فإن الغنى في قلوب الرجال وإن الــتـعــزز بـالأنــفـــس**

**وكائن ترى من أخي عسرة غـنــي وذي ثـروة مفــلـس**

**ومـن قائــم شخصـه مـيــت علــى انــه بـعــد لــم يـرمس**

يزدري الكندي فيما أيدي أصحاب الجاه والسلطان من مال تعافه النفوس الكريمة ، فيقول : إن الغنى غنى النفس العزيزة ، وكم من فقير هو في حقيقته غني بقلبه وأخلاقه الرفيعة ، وكم من غني هو في حقيقته فقير بأخلاقه الذميمة ، بل انه ميت وان بدا حيا ، ميت لم يقبر ولم يوضع في رمسه .

وإذا كان الكندي قد بلغ من الشكوى هذا الحد فإن من عاصره من الشعراء ومن جاءوا بعده كانوا يشعرون بنفس المحنة ، حتى من نشأ منهم في بيوت الترف والدعة أمثال ابن المعتز والشكوى تكثر في ديوانه من مثل قوله :

**لم يبق في العيش غير البؤس والنكد فاهرب الى الموت من هم ومن نكد**

**ملأت يا دهر عيني مـن مكــارهها يا دهر حسبك قد أسرفـت فاقتصد**